Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, Vol. 1, No. 12, Mar. 2019

Published online in March

المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا، المجلد الأول ـ العدد الثاني عشر، مارس 2019م

قراءة تحليلية لمسرحية (آخر أيام سقراط) لمنصور الرحباني

لطفي محمد شتاوة
قسم الفلسفة– كلية الآداب– جامعة غريان
lutfi.shtawa72@gmail.com

ربيعة مولود حبيب
قسم الفلسفة– كلية الآداب– جامعة غريان
habibrabeea@gmail.com

الملخص:

هذا البحث هو تحليل لمسرحية منصور الرحباني التي تضمنت الأحداث الأخيرة التي عاشها فيلسوف اليونان (سقراط) عنّونّها بـ "آخر أيام سقراط"، استعرض فيها تاريخاً مؤلماً ودامياً، عن حياة سقراط الذي حاول تعليم شباب أثينا الفلسفة، فاتهمه (انيتوس) زعيم الحزب الديمقراطي الذي كان مسيطراً على أثينا في ذاك الوقت، وكذلك، (كريتياس) تلميذ سقراط الذى عينه الاسبرطيون، فكان حاكماً قاسياً عندما احتلوا مدينة أثينا، اتهماه أنه يحرض الشباب ضد الالهة ويفسد عقولهم، فحوكم أمام خمسة واثنا قاضياَ، وحكم عليه بالإعدام.

والحقيقة أن هذه المسرحية هي من أهم التحف الفنية التي قدمها منصور الرحباني، فكانت تهدف لتوضيح جانب من تاريخ أثينا وحياة سقراط، محاكياً واقع الحياة التي تمر بها البلاد العربية من صراعات سياسية، فسقراط حكاية كل مدينة في كل زمان ومكان، أرادها منصور الرحباني وسكبها في قالب إبداعي ناقد لم يتوان جمهور الافتتاح الذي صبغ بالصبغة السياسية، عن التصفيق له بإعجاب تخطى حدود الانتقاد ليلامس المشاعر الإنسانية في قوتها وضعفها، وفي جمالها وبشاعتها، وهدوئها وغضبها.

ومن هنا حاولنا في هذا البحث تحليل مضمون هذه المسرحية وما تهدف إليه، إلى جانب تحليل شخصية سقراط من خلال نظر منصور الرحباني.

Abstract:

This research is an analysis of the play by Mansour Rahbani, which included the recent events of the philosopher of Greece (Socrates), entitled "The Last Days of Socrates," in which he reviewed a painful and bloody history of the life of Socrates, who philosophizes and tries to teach the youth

of Athens philosophy. Anitos, who was the president of the democratic party and was in control of Athens at that time, and cretias, the disciple of Socrates who was appointed by the Spartans as a harsh ruler of havens accused Socrates of inciting the youth againts God Aritos and cretias both. and spoiling their minds, and therefore, he wan sent jail and sentenced to death.

In fact, this play is one of the most important artifacts presented by Mansour Rahbani. It was intended to clarify the aspect of the history of Athens and the life of Socrates, simulating the reality of life experienced by the Arab countries of political conflicts, Socrates is a story of every city in every time and place: Mansour Rahbani poured it in a creating and critical mold that the andiena did not hesitate to applause him with admiration exceeded the limits of criticism to touch the human feelings in strength and weakness, and in beauty and ruthlessness, calm and anger.

Hence, we tried to analyze the content of this play and what it aims at, as well as analyzing the character of Socrates through the eyes of Mansour Rahbani.

المقدمة:

آخر أيام سقراط، مسرحية قدمها الكاتب منصور الرحباني في أبهى صورة فنية رائعة، حيث شخّص حدثاً عرضه على مسرح (كازينو لبنان) في عام 1998م، والتي تعد من أهم وأضخم أعمالِهِ المسرحية في تلك الفترة، عن طريق المحاكاة يعود إلى 400 سنة قبل الميلاد، ورائد ذلك الحدث هو سقراط رجل الفكر اليوناني الأول، حيثُ تناولت المسرحية حياة سقراط في أيامِهِ الأخيرة، والتي تزامنت مع بعض العقبات السياسية البارزة في تاريخ بلاده أثينا، الأمر الذي جعل من هذا العمل المسرحي ركيزة أساسية لما جاء بعدها من مسرحيات في الفكر الإنساني عامة، خاصةً تلك التي تخاطب الجمهور المثقف.

فجميعنا يعلم أن اسم سقراط قد شطر الفلسفة اليونانية شطرين، الفلسفة ما قبل سقراط والفلسفة في زمنه، فهو الحكيم الفاضل الزاهد من أهل أثينا، وقد اقتبس الحكمة من (فيثاغورس) و(أرسالاوس)، واقتصر من أصنافها على الإلهيات والأخلاقيات، حتى صار زاهداً عن ملذات الدنيا، وكرس نفسهُ في رياضة النفس وتهذيب الأخلاق.(الشهرستاني، 1992،ص89).

وقد ركّز الرحباني في مسرحيته على قضية (الأخلاق) التي ناضل من أجلها سقراط، وللصول إلى المثل العليا، وكانت هذه الأمور من العوامل التي أدانته أمام المحكمة، حتى أوصلته إلى الإعدام، وهذا ما يؤكّد قوله لمن حَكَمُوا عليه بالإعدام: "لقد تعودتم رؤية المتهمين يبكون ويستدرون العطف في دفاعهم، ويقومون بفعل أشياء لا أقدرها. وحين قدمت خطبتي للدفاع لم أفكر في أن خوفي من خسارة القضية قد يدفعني للقيام بما يقوم به العبيد، لم أندم على الطريقة التي قدمتُ بها دفاعي، وأفضل الموت بسببها على الحياة إذا ما اسعنتُ بطرق الدفاع الأخرى". (ردبيوش، 2014، ص41)

ومن خلال ما شهدنا في مسرحية الرحباني عن سقراط نقول أنهُ إنسان مناضل ومعلم أول ومربٍ، وهذه الصورة هي صورة واقعية؛ ويظل الأستاذ الأكبر، في تعليمه للحقائق، فقد أحاط بشتى أنواع المعرفة، وإليه يرجع الفضل لكل ما يكتبهُ ويتجادلهُ رجال الفكر حوله، فالواقع أنّه لم يغادر موضوعاً مما يهتم به الناس إلا أحصاهُ في بحثه على أسس العدل الذي وقفت عليه حياته، وانطلاقاً من هذه المسرحية حاولنا في هذا البحث القيام بقراءة تحليلية لشخصية سقراط الفيلسوف من خلال نظر الكاتب منصور الرحباني، وإبراز الهدف الذي كان يرمي إليه في مسرحيته.

نبذة عن منصور الرحباني:

هو منصور حنا الرحباني، ولد عام 1925م في أنطلياس بلبنان، وهو واحد من الذين أسسوا الموسيقى العربية بما عُرف (بالأخوين الرحباني) إضافة إلى أخيه عاصي، والمغنية فيروز، ووالده هو حنا إلياس رحباني، عاش منصور مع شقيقه عاصي طفولة بائسة قبل أن يشتهرا في عالم الفن، قال منصور عن طفولتهما: تشردنا في منازل البؤس كثيراً، سكنا بيوتاً ليست ببيوت، هكذا كانت طفولتنا. (ويكيبيديا)

وبعد وفاة عاصي عام 1986 ظهر اسم (منصور الرحباني) لأول مرة في مسرحية (صيف 840) من بطولة غسان صليبا، وهدى حداد، شقيقة الفنانة الكبيرة فيروز، واستمر في الإنتاج، وقدَّم مسرحية ثانية وهي (الوصية) من بطولة غسان صليبا، وهدى حداد، ثُمّ قدَّم مسرحية ثالثة كانت بعنوان (ملوك الطوائف) من بطولة غسان صليبا، وكارول سماحة، ومسرحية (المتنبي) من بطولة غسان صليبا، وكارول سماحة، ومسرحية (حكم الرعيان) بطولة الفنانة التونسية لطيفة، ومسرحية (آخر أيام سقراط) من بطولة

رفيق علي أحمد، وهدى حداد ومسرحية (النبي) المأخوذة عن نص (جبران خليل جبران)، ومسرحية (زنوبيا) من بطولة غسان صليبا، وكارول سماحة، وآخر أعماله المسرحية الغنائية (عودة طائر الفنيق). (السينما كوم)

وله أربعة دواوين شعرية هي: (القصور المائية)، (أسافر وحدي ملكاً)، (أنا الغريب الآخر)، (بحّار الشتي شعر محكي)، وقد أسهم في نشر الثقافة العربية وتلوينها بألوان جميلة ومن خلال المسرح تهيأ القارئ لقراءتها من خلال مشاهداتها على المسرح مع الموسيقى والاستعراض والأداء الغنائي المذهل بصوت فيروز، وبأسلوب فني جديد مختلف.

وأدخل إلى مستشفى "أوتيل ديو" بعد إصابته بإنفلونزا حادة أثرت في رئتيه إلى أن توفي في 13 يناير 2009 عن عمر يناهز 83 عاماً بعد صراع طويل مع المرض.(نادي الفكر، 2009)

مسرحية آخر أيام سقراط:

كتب منصور الرحباني مسرحية (آخر أيام سقراط) وأطلقها في سنة 1998 م، ثم عرضها على مسرح كازينو لبنان، وكانت من إخراج مروان الرحباني، وقد اعتمد في كتابتها على مصادر أهمها (محاورات أفلاطون)، و(أكز ينوفون) تلميذا سقراط.

ذلك أن سقراط الذي يسميه منصور "أحكم حكماء الأرض" لم يترك شيئاً مكتوباً من أثره، وأن كل ما علمناهُ من تعاليمهِ وفنونه نقله إلينا تلميذهُ أفلاطون في أعظم محاورتين هما: (محاورة الدفاع) و(محاورة أريطون). وكذلك ما جمعه لنا (أكز ينوفون) من تقولات لبعض تعاليم أستاذه سقراط.(مرحبا، 1988، ص94)

أما المرجع المهم الآخر والذي لم يعتمد عليه منصور الرحباني فهو مسرحية (السحب) للكاتب الإغريقي (أرسطوفان) وذلك بسبب أنه: (يقدم فيها سقراط استاذاً وصاحب مدرسة يعيش فيها الطلاب حياة مشتركة مملوءة بالزهد والفقر، إلى جانب أنه في هذه المسرحية كانت السخرية من سقراط واضحة عند أرسطوفان، فهو يصور فيها سقراط يقيس قفزات البراغيث، ويتمثله جالساً في سلة معلقة في الهواء يناجي السحب والغيوم ويتوجه إليها بالعبادة من دون آلهة المدينة، ويجد فيها ملاذه الاخير، ملاذ أصحاب الخيال،

كما يتهمه بالكفر وإفساد عقول الشباب، فهو اذن خصم لسقراط لا يمكن الاطمئنان إليه) (مطر، 1998، ص 134)، لهذا لم يعتمد عليها منصور الرحباني كمرجع.

غير أن الرحباني لم يهدف الى كتابة نص مسرحي عن سقراط، بل ربما جاء سقراط هُنا كذريعة لِيبني عن طريقها نصاً يمثل المرحلة التي حوكم فيها هذا الفيلسوف الإغريقي سقراط؛ لأنه كان يرفض الانصياع لحكم تلميذه (كريتياس) ومعاونيه، ذاك الديكتاتوري الذي خان مبادئ سقراط وانقلب إلى حاكم قاسٍ وجشع، وكذلك رفضه لحُكم الديموقراطيين الذين اتهمهم سقراط بالفساد والظلم، فكانت هذه الفترة هي الصرخة المدوية نحو التغيير والتمرد على الحكم الغاشم، إلاّ أنهّا صرخة كلفت سقراط حياته.

إنّ هذه المرحلة التي أختارها منصور الرحباني من حياة سقراط كان لها هدف تمثل في معالجة قضية فكرية تُجسِّد الواقع الذي نعيش فيه، فما حصل في أثينا يحصل في كل مكان وزمان من عالمنا وخاصةً وطننا العربي.

قراءة في مسرحية آخر أيام سقراط:

تبدأ القصة التي أخذها منصور الرحباني لصناعة مسرحيته في أنّ سقراط فيلسوف راقص، أو حكيم شعبيّ، يُعاني ما تُعانيه الناس، ويُناضل من أجل مُثله العليا، ويُعلِّم تلاميذه المعرفة الحقَّه والسعي وراء الحقيقة والفضيلة والأخلاق، (يصلح ما أفسده السوفسطائيون من أمرهم ويبصرهم بالحق والخير ليهيأ للبلاد مستقبلاً طيباً على أيديهم).(كرم، 1936، ص 65)

بل مضى الرحباني في رسم صورة جميلة جداً لسقراط، حيثُ جعله يرقص ويشرب ويلجأ إلى دار المغنية الجميلة (ثيودورا) التي تعتبر من تلاميذه أيضاً، فبدأ بذلك وفق الرؤية الرحبانية إنساناً عادياً جداً، ومعلماً ومربياً، بحيث لولا الحكم عليه لكان من الممكن في نظر الرحباني أن يكون لسقراط وجه آخر، وهذا ليس من مخيلة منصور الرحباني، بل ذكره محمد عبد الرحمن مرحبا في كتابه (مع الفلسفة اليونانية): أن سقراطاً كان مثالاً للمواطن الصالح الذى يريد أن يرقى بأمته إلى حيث يرجو لها من خير ومعرفة، فهو إنسان صادق، كان يسير بين مواطنيه سيرة نقية صالحة، فارتفع عن الصغائر وتنزه عن الشر؛ ولم يؤذِ أحداً،

بل أحسنَ إلى الناس جميعاً، بما قدّم إليهم من نصح وبما أورثهم من هدى، وهو فضلاً عن ذلك فيلسوف عميق بعيد النظر.

وهو من أولئك الأفذاذ الذين يفاخر بهم الفكر العالمي على اختلاف العصور وتباين أجيال الناس وتفاوت حظوظ هذه الأجيال من الحضارة ورُقِي الشعور، فالتخريب ليس من طبعه، والتشكيك الهدام لا يستقيم مع سمو نفسه ومعدن الخير الذي قدت منه روحه). (مرحبا، 1988، ص 99)

كما استعرض منصور الرحباني المكان الذي ينطلق منه سقراط في تعليمه وهو (الشارع)، والشعب هو مرجعة الأول والأخير، فكان من بعض تعاليم سقراط التي تدور حول المعرفة يقول: (أن المعرفة الحقة لا يمكن الوصول إليها إلاّ عن طريق الاستنباط وتحديد الماهيات). (مرحبا، 1993،ص 205)

وبهذا أغرى سقراط تلاميذه باختبار الأفكار الشعبية بمنطق العقل، وحضهم على عدم الاستجابة لرأى الكثرة وإملاء السلطة عند اصدار الأحكام وتقويم الأمور، فالرأي العام لا يصلح أن يكون محكاً للحقيقة والعرف الشائع، لا ينبغي أن يتخذ دليلاً على حجة رأي أو بطلان فكرة. فبالعقل ـ وبالعقل وحده ـ إنما تمحص الآراء والأفكار وتحلل العقائد. (مرحبا، 1988، ص 100)

ويزعم بتواضع شديد أنّه في حدود هذا المعنى، لا يعرف شيئاً سوى أنَّه لا يَعَرفُ، فقد كان يكتفي بطرح الأسئلة دون أن ينتهي إلى نتيجة إيجابية، فالفضيلة هي المعرفة الحقّة التي لا سبيل إليها، وحتي إذ أمكن الوصول إليها فإنّ هذا القدر الكبير من الحقيقة لا يمكن إلا لقلّة فقط، أن تحصل عليه.

وعلى ما يبدو فإنّ الحث على الفضيلة والمعرفة والعدالة، من قبل سقراط لم تكن مقبولة من قبل بعض أبناء وطنه أمثال (كريتياس) و(أنيتوس) اللذان اتهماه بسببها، فقد كان سقراط حسب تصوير الرحباني له يمتحن الشعراء والسياسيين والفنانين من خلال المجادلة والنقاش؛ ليتحقق إذا كان هناك أحكم منهم، ويكشف ماهية حكمته، فكان يسألهم في حلقات واسعة تضُم أشتات الناس فيما حذقوه في فنهم، حتي يبين ويتبين لهم أنهم لا يعلمون شيئاً، وأنّهم يصدرون عن مجرد ظن أو عن إلهام إلهي وكلاهما مباين للعالم، وقد خرج من هذا الامتحان الطويل بأنّ مراد الإله هو أن حكمته قائمه في علمه بجهله، لذا مضي يُعلِّم الحكمة وهو يعتقد أنّه يحمل في عاتقه أمانة سماوية.(كرم،2012، ص68، 69)

أظهر العمل المسرحي زوجة سقراط السيدة (كزنتيبي) وكأنها حريصة على بقائهِ في المنزل حباً فيهِ وتغني له (لو فيّ حبيك)، والحقيقة أنها كانت في الواقع سيئة جدا معهُ، وما يؤكد ذلك قولهُ:(لقد أصبت في حياتي بثلاث مصائب: الفقر والجهل وزوجتي، وتغلبت على الأولى بحسن التدبير، أما الثانية فتغلبت عليها بالمعرفة، أما الثالثة فلا مجال للتخلص منها) (ويكيبيديا)، وعلى ما يبدو فإن سقراط لم يكن مرتاحاً في حياته الزوجية فأخذ الحكمة منها بالصبر عليها، وكان يقول لمن يسأله عن الزواج: (تزوج لأنّك إن اجتمعت بالمرأة الصالحة كُنتَ سعيداً وإن لم يكن كذلك تعلمت الفلسفة). (مرحبا،1993، ص 189)

الفلسفة التي جعلت سقراط ينادي بمبادئ الديمقراطية القائمة على الفضيلة والأخلاق، فقد ذكر أن الديمقراطية الحّقة هي حكم الأغلبية، وهذا ما جعل الرحباني يسلط عليه الضوء في مسرحيته، عندما سألوا سقراط عن الديمقراطية فقال: (هي حكم الأغلبية، وسيئاتها أنها حكم الأكثرية بحيث تحكم الكمية علي النوعية)، فسقراط يري بأن السلطتين التشريعية والتنفيذية يجب أن تكون في أيدي أعقل رجال الدولة وأكثرهم حكمة، لافي أيدي أولئك الغوغائيين الذين رفعتهم الظروف الهوجاء إلى مالا يستحقون من المناصب. (المرجع السابق، ص 191)

وباحتلال اسبارطة دولة أثينا، معينين حاكمٍ لها هو (كريتياس)، الذي بدوره كونَّ حكومة من ثلاثين وزيرا عرفوا عبر التاريخ (بالطغاة الثلاثين)، وبدأوا يمارسون دورا ظالماً على الشعب من ضرائب ونفي وهدم لصالح الديمقراطية. وخلقوا مفهوما حزبيا تحت مسمى (النخبة الحاكمة الغنية)، وقد ضاق الشعب من تصرفاتهم، ولكن الديمقراطيين استولوا على السلطة من (كريتياس) وطردوا جيش اسبارطة، غير أن هؤلاء أيضا كانوا ضد الشعب، فانقلب عليهم سقراط، لأنه كان مناديا بالعدالة والديمقراطية وعارض النظام القائم، وحتى يكفروا عن المآثم المرتكبة والهزيمة التي أُلحقت بأثينا، فكرّ كل من (كريتياس)، و (وأنيتوس) بأنّ ينقلبوا على سقراط ويلفقوا له التهم، فكان أول هذه التهم أنّه يُحرِّض الشباب ضد تعّدد الآلهة، وأنه كافر، في الوقت الذى كانت تنهار فيه أثينا وتسقط في يد اسبارطة بمعاونة (كريتياس) تلميذ سقراط الدموي، وعصبة من الإرهابيين عُرفوا باسم (الثلاثون طاغية) الذين استطاعوا أن يرتقوا إلى السلطة في أثينا.

رغم أن سقراط لم يكن مسئولاً عن جرائمهم على الإطلاق، وبعد أن استعاد الديمقراطيون الحكم مرة أخرى قدموا سقراط إلى المحاكمة بتهمة كفره بالآلهة التي تعبدها أثينا، وإفساد الشباب بأفكاره ومبادئه إلاّ أنّه ـ أي سقراط ـ استطاع أنّ يُفحم قضاته بأسلوبه الساخر الصّلب.

وقد تبلور هذا الاسلوب عند فراغ المدعي من تلاوة اتهامه فنهض سقراط وقال: (أيّها الأثينيون لقد عشت شهماً شجاعاً ولم أترك مكاني خوف الموت، وما أراني اليوم وقد تقدمت بي السن مستطيعاً أن أهبط عن ذلك المقام في الشجاعة فأتخلى عن رسالتي التي ألهمتني إياها السماء، والتي تهيب بي أن أُبَصِّر الناس بأنفسهم، فإذا كان ذلك التبصير هو ما تسمونه إفساداً للشباب اللاتيني، ألا إذاً فاعلموا أيها القضاة أنكم إن أخليتم سبيلي في هذهِ الساعة فإني عائد من فوري إلى ما كنت عليه من تعليم الحكمة).(عطيتو، 1999،ص 286)

وهنا أظهر القضاة غضبهم واستنكارهم، ومع ذلك فقد مضى سقراط بكلماته قائلاً: (لا تحسبوا دفاعي هذا عن نفسي خوفاً عليها؛ بل خوفاً عليكم أنتم يا أهل أثينا الأحباء، فإنّي أخشى أن تفقدوا بفقدي رجلاً لا يُعوض؛ فإنّكم وحق الآلهة لن تجدوا من بعدي أحداً يُبصركم بعوراتكم لتركضوا كالجياد إلى غايات الخير والفضيلة والإحسان).(رديبوش، 2014، ص 40)

فازداد ضجيج القضاة وأحس رئيسهم بالخطر الذي تتعرض له حياة الفيلسوف من مثل هذه اللهجة الحادة فقال له: (أليس من الأفضل لك أن تكسب عطف المحكمة بدلاً من أن تتحداها بهذا الزهو والشموخ؟).(المرجع السابق، 41) فأجاب سقراط: (أتريدني حقاً أن أترضاكم يا أهل أثينا بالمديح والثناء الكاذب، وأن أرضي غروركم بالتوسل والبكاء والآن أيها القضاة احكموا بما شئتم واعلموا أن نفوسكم هي التي في كفة الميزان لا نفسي فاحرصوا على العدل والحق).(عطيتو، 1999،ص 288)

وعندما سأل كبير القضاة سقراط عن أي العقوبات يظن أنه يستحقها؟ أجاب مبتسما: (أن أقل حكم تصدرونه علي أن تحكموا لي بأن أطعم وأكسى على نفقة الدولة بقية عمري اعترافاً منكم بما أسديت لأثينا وأهلها من الخير). (رديبوش، 2014، ص 44)

إلاّ أنّ ذلك لم يحدث، وصدر الحكم بالإعدام، ولما وضع سقراط بالسجن جاء من يفك أسرهُ محاولاً تهريبهُ من قرار ظالم وغاشم (قرار الإعدام)، إلا أن الحكيم رفض الفرار مؤثراً تجرع كأس السم، وهذا ما أكده أحمد أمير في كتابه قصة الفلسفة اليونانية حيثُ ذكر، (أنه حينما دخل علية ضابط كوستا واقترب منه وقال: ياسقراط أود ألا تخطئ كما يخطئ غيرك، فإنَّهم يسخطون ويلعنون حينما أتقدم إليهم بجرعة السم، ولست في ذلك إلا صداعاً بما أمرت به، ولكني وجدتُ فيك أثناء إقامتك في السجن رجلاً نبيلاً وديعاً جليلاً لا تقاس بمن شهد هذا المكان من قبل؛ ولستُ أشك في أنك لن تنقم أو تنور؛ والآن ـ وأنت عالم بما جئتً أعلنهُ إليك ـ وداعاً، فنظر اليه سقراط وقال: وداعاً وسأفعل ما تريد، ثم التفت سقراط إلى تلاميذه الذين حوله وقال ما أرحم هذا الرجل، إنه لم ينقطع عن زيارتي طول إقامتي، وكثيراً ماكنتُ أناقشهُ، فأرى فيه رجلاً من أقوم الرجال، وهو يبكى من أجلى بكاء صادراً عن عطف كريم، تعال إلى ياكريتو، دعنا ننفذ الأمر، ومُر أحداً بإحضار السم إذا كان قد تم إعداده وإلا فقل لهم يعدوه، فأجاب كريتو: إن أشعة الشمس ياسقراط لا تزال تسطع فوق الجبال ولم تغب بعد، وأنا أعلم أن من قبلك كانوا لا يشربون السم إلا في ساعة متأخرة بعد إعلانهم، وبعد أن يأكلوا طعام العشاء، ويحتسون الخمر كما يشاءون، ولايزال في الوقت متسع، قال سقراط إن هؤلاء الذين ذكرتهم ياكريتو كانوا على حق فيما فعلوا ما داموا قد توهموا أنهم يكسبون من وراء ذلك شيئاً، وأنا كذلك على حق فيما أفعل ما دمتُ أحسب أني لن أجني من التسويف شيئاً، إلا أن أضع نفسي من نفسي موضع السخرية حينما أتعلق بأسباب الحياة). (أمين، 1935، ص 115، 116)

وبالفعل تجرعها وهو واقف، ومات موت الشرفاء، مدركاً أنهُ سيلقى حياةً أفضل بكثير من هذه الحياة، وأن الحياة الحقيقة هي ما بعد هذه المرحلة الحياتية الأولى، فهو يعلم أنهُ لم ولن يموت، بل إنهُ بهذا تحدى الموت وانتصر عليهم، وبذلك أصبح سقراط الفيلسوف أشهر شخصيات التاريخ، من خلال حياته وآرائه الشجاعة التي ارتضاها لنفسه، بعد حياة بحث فيها عن الحقيقة والخير، وعمل على تعليم الناس في الاسواق والشوارع والساحات ليبين لهم حينها عدم كفاية أجوبتهم.

وذكر محمد عبد الرحمن مرحبا في كتابه تاريخ الفلسفة اليونانية: أنهُ ليس هناك ما هو اسمي من موقف سقراط في أثناء المحكمة وبعدها، وليس هناك ما هو أروع من الذين حاكموا سقراط محاكمة كان لها الأثر ما قبل وما بعد، إنها محاكمة فريدة كانت في التاريخ، وكانت اخر كلمة نطق بها سقراط أمام قضاته الذين أصدروا عليه الحكم بالإعدام، هي العبارة التالية: (لقد حان الوقت الذي نفترق فيه، أنا إلى الموت وأنتم إلى الحياة، فليت شعري أينا أسعد حظاً؟ لا أحد يعلم ذلك إلا الله) (مرحبا،1993، ص192)، وبهذا دخل إعدام سقراط الاسطورة وحتى الآن ـ وربما إلى الأبد ـ ستظل التساؤلات مستمرة وكثيرة جداً عن دلالة تلك المحكمة العتيدة، التي ربما كانت أول محاكمة حقيقية في التاريخ ـ وربما آخرها ـ كان موضوعها الفكر في بلد لم تكن لها نظر في الإيمان بحقوق الفكر، والغريب أن الديمقراطية هي التي اغتالت الفكر وحرية الفكر. (المرجع السابق، ص 192)

تحليل المسرحية:

إن الرؤية الرحبانية العميقة استطاعت تجسيد العمل المسرحي وفق منظور شعبي لهُ دلالته ومعانيه، وكأنَّ الرحباني يحاول أن يجوب بما في خاطر الجمهور اللبناني، ويعبر عن همومه، محاكياً لواقعه المعيش مصوراً تضحية الإنسان الفرد من أجل المجتمع ككل، فقدم عملاً تراجيدياً باهراً جعل فيه سقراط الفيلسوف الحكيم فادياً بنفسه لمجتمعه، ليكون ضحية للمبادئ والمثل العليا التي آمن بها يوماً، وعلَّمها لتلاميذه، فمات واقفاً مبتسماً غير خائف من الموت؛ لأنه كان يعلم مسبقاً أنهُ عند ذلك سيبدأ المشوار، فالموت ليس إلا حافزاً على الحياة، والدمُ ليس إلا حبر الحقيقة كما يقول منصور الرحباني في مسرحيته (آخر أيام سقراط)، وإنّ انتقاءه لسقراط دون غيره يبيّن مدى حاجتنا حسب الرحباني للأخلاق والمثل العليا والتغيير، وقد عبّر عن ذلك عندما سُئل: لماذا اخترت قصة سقراط؟ قال: لأننا بحاجة الى سقراط اليوم أكثر من أي وقت مضى.(البيان، 1998)

وبالغوص في المسرحية نجد منصور الرحباني قسّم العمل إلى جزئيين: الجزء الأوْل لم يُعقّد ملامح الشّخصيات بل تركها بسيطة وعفوية مثله مثل الأشخاص العامة، يعيشون حياة طبيعية لهم زوجات وأبناء، غير أنه ميز سقراط بحكمته التي وظفها لتعليم الشباب من العامة ومدّهم بالحكمة والمعرفة أمثال (أفلاطون)

(انتيثيناس)، وواحدًا أو اثنين من الفوضويين مثل (اريستيبوس) الذي تاقت نفسه إلي عالم لاوجود فيه للأسياد أو للعبيد بحيث يكون سكان هذا العالم جميعهم أحراراً بعيدين عن القلق مثل سقراط، وقد ركز الفصل الأول على رفض سقراط شهوات الآلهة وخصوماتها لأن هذا يتضمن انهيار الدين من أساسه، فهو بالنسبة له يرى من مهام الدين تكريم الضّمير النّقي للعدالة الإلهية، لا تقديم القرابين وتلاوة الصلوات مع تلطخ النفس بالإثم. (كرم، 2012، ص 53)، وقد أرجع مصدر آرائه وتعاليمه التي يبثُّها بين الشباب إلى ذلك الصّوت الذي كان يسمعه في نفسه، صوت كان ينهاه عن إتيان الفعل الضّار به وكان يسميه بالروح الإلهي ولا ينسبه لإله معين. (النشار، 2000، ص 116)

كما جعل منصور الرحباني سقراط إنسانًا يدعو إلى الأخلاق، لأنّها صفة مهمة لابد للإنسان الاتصاف بها، وهذا معنى قول (شيشرون) إنّ سقراط أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض، أو إنّه حول النظر من الفلك والعناصر إلى النفس، وتدور الأخلاق على ماهية الإنسان. (كرم، 2012، ص 53)

فالحوار الذى قام عليه الجزء الأول كان يدور حول تعليم سقراط مع الحياة التي يعيشها وعلاقته بزوجته التي كانت رافضة التعليم، ولو نظرنا بتفحص المسرحية لعرفنا المغزى من تمثيل شخصية سقراط وتعاليمه فهوـ إي الرحباني ـ يهدف لخروج مثل هذا الحكيم في زمننا وعصرنا الذي ضاعت فيه القيم وانهارت بعض المعتقدات الدينية.

أما الجزء الثاني من المسرحية فكان مرتكزاً على القضايا الموجهة لسقراط، والمكائد التي حاولوا تلفيقها له، وهو الهدف الأهم على ما يبدو عند منصور الرحباني في هذه المسرحية، فقد صرّح سقراط بأنّ الحكومة تسودها الفوضى والسخافة، حتى أصبحت (أثينا) غارقة في الظلام، يسودها الجهل الذي يصنعهُ الجمهور بوضعه واستصداره لقرارات في سرعة وجهل، وغيابٍ للعقل والحكمة.

أظهرت المسرحية مصير سقراط زعيم الحزب الثائر، ومصدر الفلسفة الأرستقراطية البغيضة ومفسد الشباب الذي أسكرهم بالنقاش حسب رأى مناهضيه، رأى (وانيتوس) و(ميليتوس) زعما الديمقراطية أن من الأفضل أن يموت سقراط ولكي يموت لابد من محاكمته لذا اتهموه ـ أي سقراط ـ بتهم عديدة كان أهمها:

- رفضه للآلهة المتعددة.

- الإيمان بالإله الواحد.

- تخريب عقول الشباب وإفساد الأخلاق، وبالتالي هدم الدين.(النشار، 2000، ص 115)

إلاّ أنّ سقراط كان الضمير الحي واليقظ الذي يُخيف السلطة، وكان الصّوت الصّارخ الذي تهابه الدّولة كلّها. علماً بأنه كان ضعيفاً وأعزل، لا يملك من السّلاح ما يجابه به خصمه سوى أفكاره الإصلاحية ومبادئه الفلسفية، والتي كانت أقوى من أي سلاح، ونعني به هنا (سلطة الضمير)، فكان ضميرهُ اليقظ يُخيف السلطة وتهابهُ الدولة.

وحين أودع السجن جاء من يحاول تهريبه من حكم الإعدام إلاّ أنه رفض أن يفرّ، وقال: (إن الهروب من الموت جبن، وأن على الإنسان أن يطيع القوانين).(استيس،984، ص 120)، فكيف لسقراط المعلم والفيلسوف أن يضرب بكل القيم والمبادئ الأخلاقية عرض الحائط، ويهدم كل ما بناه، لا لأجل شيء سوي تحرير نفسه من القيد، وهو يعلم أن نفسه وإن حررها من السجن المادي فهي ستبقى رهينة السجن الأبدي وهو الجسد، وأن تحريرها يكمن في ترك هذا العالم الفاني والسعي إلى عالم الخلود والديمومة، لذا تلهف لتجرع كأس الموت وهو متيقن تماماً أنه كأس الحياة الأخرى التي لم يعهدها خصمه. وهكذا بعد ثلاثين يومًا حُمل إليه كأس السُم ليتجرعه ومات واقفاً وقفة عزّ وشموخ. (المرجع السابق نفسه، ص 120)

وإذا نظرنا إلى نهاية المسرحية سنرى أنّ الرحباني قد حقق ما كان يصبو إليه من خلال تقديمه لسقراط الميت وهو منتصب كتمثال من وراء الضباب، وكأنّه لم يمت، بل تحدى الموت وانتصر عليه. فسقراط هو الذي بقي، أمّا القضاة فلم يبق منهم أحد لا (أنيتوس) ولا أحد من الذين تآمروا عليه، وهنا يصور لنا منصور الرحباني الصراع الفعلي في العمل، فيتضح أنّ الصراع الحق قائم بين الخير والشر، بين العلم والجهل، بين قوة العلم وقوة القانون الظالم.

وخلاصة القول تكمن في أنّ هذه المسرحية إنّما هي تمثيل حي في إطار تاريخي لمبدأ السلطة الظالمة وانهيار الفعل الخلقي الذي لا يعرف حاكماً ولا محكوماً، ولا عالماً ولا جاهلاً. كما أنّها تطرح فكرة محورية قائمة حول ضياع الديمقراطية والحرية وضياع الدين، وتؤكد بأنّ السلطة الحقيقية تنجو من الضّعف لو

كانت مدعمة بالعلم والتفتح العقلي اللازم لاستمراريتها. فالمسرحية مرتبطة بالواقع ارتباطاً وثيقاً، وتمثل المرحلة التاريخية التي كان يعيشها سقراط تمثيلاً صادقاً. وتجلى ما يعج به المضمون من قضايا تمس الواقع مباشرة، كما أنّها تكشف عن العلاقات المتناقضة القائمة على الصّراع الطبقي. وقد عبر الرحباني بتوظيف بعض المفاهيم والشعارات التي كان يُعلنها الأفراد بوصفها أسلوباً لحياتهم، داعياً بذلك إلى التغيير الثوري وفسح المجال أمام الطبقات الكادحة لتقود مسيرة النّضال والبناء.

التركيب الفني لمسرحية آخر أيام سقراط:

1 . وحدة الحدث: إنّ موضوع المسرحية يدور حول فترة تاريخية من حياة سقراط المعلم والحكيم الذي وقف ضد حكم الأقلية، استمدها منصور الرحباني من (محاورة الدفاع) و(محاورة أقريطون) والتي تدور حول قصة سقراط وتعاليمه المرفوضة في تلك الفترة، والتي أدت بحياته إلى السجن ومن ثم إلى الموت.

2 . وحدة الزّمن: (الزّمن الاغريقي): ففي عام 399ق.م، حدثت أقسى الاختبارات التي يمكن أن يتعرض لها الحكماء عبر الأزمنة، فقد كان على سقراط الاختيار بين مبادئه وقناعاته، وبين حياته، فاختار المبادئ فأدى به إلى الإعدام.

قسم العمل بهذه المسرحية الزمان إلى زمانين؛ زمن حكم الطغاة (الاوليغاركية) الذين حكموا (أثينا) عقب هزيمتها على يد اسبارطة، وفيها يقف سقراط ضد حكم الأقلية، وزمن انتصار الديمقراطيين على الاوليغاركية وفيه يتحول الديمقراطيون إلى طغاة، فيقف سقراط مع الشعب، وقد استطاع المخرج من خلال توظيف الأشياء أن جعلنا نعتقد بأنه لا فرق بين حكم الأقلية وحكم الديمقراطيين، فالشعب تُفرض عليه الضرائب، والمزايا تعرف طريقها إلى أصحاب النفوذ، ويبقى سقراط متمسكاً بمبادئه ورمزيتها دون أي شيء آخر.

3 . وحدة المكان: تدور المسرحية على أحداث واقعية عاشها سقراط في أثينا، وقد تم عرضها في مكان مغلق على خشبة مسرح كازينو لبنان ببيروت في عام 1998م.

شخصيات المسرحية:

جسدَ هذه المسرحية نخبة من الفنانين بدقة متناهية، وأدت دورها الدرامي على أكمل وجه حتى النهاية، وكل شخصياتها المتجسدة هي شخصيات واقعية ظهرت في الفترة التاريخية الأخيرة من حياة سقراط، وأول هذه الشخصيات هي شخصية سقراط التي جسدها الفنان رفيق علي أحمد بواقعية معبرة عن ذاك الفيلسوف الذي ضحّى بنفسه من أجل قضيته، وعن الرجل الشعبي الذي يُحب النّاس ويشاركهم معاناتهم، الرجل الذي كان يرقص، ويغني، ويشرب، ويؤنب امرأته كأي رجل عادي، ذاك المعلم المحبوب ذو التأثير الكبير في تلاميذه وأصدقائه، الحكيم الذي كان يجمع الشباب على اختلاف توجهاتهم ورؤاهم السياسية، ويحفزهم على التساؤل ومناقشة أفكارهم، فهو شخصية متعددة الشخصيات لذا كان لها تأثيرها الكبير.

أيضاً ظهرت شخصيات من تلاميذه الذين لهم اتجاهات مختلفة، فمنهم رجال أغنياء (كأفلاطون) تلميذهُ النجيب والذي جسد دوره نادر خوري و(السبيادس)، اللذان كانا يستمتعان بتحليل أستاذهم سقراط، وهجومه على النظام الديمقراطي في أثينا، منهم أيضاً بعض الاشتراكيين مثل (انتيثيناس) الذي أحب في سقراط عدم اهتمامه بفقره، ومن الفوضويين مثل: (اريستيبوس) الذي ضاقت نفسه إلى عالم لاوجود فيه للأسياد أو العبيد، بحيث يكون سكان هذا العالم جميعهم أحراراً بعيدين عن القلق مثل سقراط.

كذلك لا ننسى شخصية (كريتياس) أحد تلاميذ سقراط الذى خانهُ وعينتهُ اسبرطة حاكماً غاشماً لأثينا مكافأة لخيانته، وقد جسد دوره زياد سعيد، و(أنيتوس) زعيم حزب الديمقراطيين، والمعروف بتاجر الجلود، الذى جسد دوره (وليم حسواني)، و(ميلتس) المخادع لشعبهُ ونفسه والذي جسد دوره أسعد حداد، إلى جانب شخصية زوجته (كزنتيبي) التي جسدتها هدى حداد التي كانت رافضة مبادئ زوجها سقراط وتعاليمه، وكان جلّ مرادها أن يجلس سقراط في بيته ليهتم بأولاده، وأنها كانت مصدراً للكثير من تجارب واحكام وأقوال سقراط حيث قال عنها مرة مُحدّثا أحد تلامذته: (يأبني "إذا رزقك الله زوجة فاضلة

طيبة تعيش حياة سعيدة هانئة وبسيطة، ولكن إذا رزقك الله بامرأة قوية ومزاجية ستصبح فيلسوفا).(مرحبا، 1993، ص 189)

أيضاً شخصية (ثيودورا) تلميذة سقراط التي جسدتها كارول سماحة بدور فعال في بث روح الفكاهة والخفّة في الاحداث المتتالية، فيما جسد جوزيف نصر شخصية القاضي (ديميتريوس) الخائن لشرف مهنته والذي حكم ظلماً على سقراط بتجرع السم، والذي ندم على قرارِ ذاك في نهاية المطاف. وجيلبير جلخ الذي جسد شخصية (ابن أنيتوس) الذي ترك ثورة والده، ولحق بسقراط والفلسفة. والضابط (كوستا) الذي جسد دوره نزيه يوسف.

ومن خلال الاشتغال على هذه الشخصيات استطاع الرحباني أن يثير المجتمع الإنساني الذي تعيش فيه اليوم، ويقدم مادة لنقاش الشباب الذي لا ينتهي، مادة أثارت الجماعات اليونانية الصغيرة من المفكرين والمحدثين في السابق، وجعلتهم يؤمنون بأن الحياة بغير بحث وحديث، ليست جديرة بأنّ يعيش فيها الإنسان.

الخاتمة:

لقد بدت مسرحية (آخر أيام سقراط) مختلفة بعض الشي عن العالم الذي أسسه كل من منصور الرحباني واخيه عاصى، والاختلاف في الموضوع والشخصية التي اعتمدها منصور الرحباني، فالبطل فيلسوف يوناني والأحداث تحصل في أثينا، والبطل سيصبح ضحية بريئة يكفر بها عن الآثام المرتكبة، فكما هو معروف لدينا كان من السهل جداً أن يتجرع سقراط بطل المسرحية السم من أن يتراجع عن مبادئه.

إنها مسرحية شاملة جمعت بين المسرح والرقص والموسيقى، ونجحت في مخاطبة الجمهور والتغلغل في العقول سواء العادية منها أو المثقفة على حد سواء، ومن خلال معايشتنا لحياة سقراط المختزلة في حروف الرحباني استطعنا أن نتوصل إلى عّدة نقاط أهمها:

1 ـ استطاع الرحباني أن ينتقد الواقع المعيش بشكل جرى من خلال حياة سقراط.

2 ـ بثّ الحياة في الأحداث والشخصيات فبدأت وكأنّها وليدة اللحظة من خلال مسرحية الرحباني.

3 ـ التركيز على تعاليم سقراط، وتسليط الضوء عليها يعكس حاجتنا للأخلاق والمثل العليا والحكمة.

4 ـ الصراع الفكري بين الحكمة والجهل كان المحور الرئيسي الذي اشتغل عليه الرحباني.

5 ـ استطاع الرحباني بفعل توظيف الرمزية في مسرحيته أن يجعل من شخصيات المسرحية ذات دلالات بعيدة.

6 ـ استطاع الرحباني أن يوظف الزمان والمكان دون أن تمس الشخصيات بالنقص.

7 ـ حققت المسرحية المغزى الذي قامت من أجله، وبدأ ذلك واضحاً من خلال النجاح الذي حظت به.

8 ـ الاتكاء على شخصية سقراط كواقع أولاً وكرمز ثانياً، بث في جمهور المسرحية يقظة الضمير، وبث روح النضال من أجل المبادئ والأفكار.

ومن هنا أكد منصور الرحباني منصور في رسمه لشخصية البطل، أنه سيظل سقراط حاملاً لواء الفكر والفلسفة، سيظل سقراط ذلك الفيلسوف المؤمن، سيظل سقراط محترماً للقوانين الصادرة عن دوائر الحكومة، سيظل سقراط صاحب المبدأ السليم وإن أتيحت له فرصة الهروب من السجن؛ لأنه كان يعلم يقيناً أنه لو بدلّ مبادئه وأفكاره التي كان ينشرها بين تلاميذه ومريديه، سوف يظل في النهاية وحيداً ليس حوله من يناصره.

المصادر والمراجع:

1 ـ استيس، ولتر، (1999م)، تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، القاهرة، مكتبة مدبولي.

2ـ أمين، أحمد، محمود، زكي نجيب، (1935 م)، السلسلة الفلسفية (قصة الفلسفة اليونانية)، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط2.

3 ـ الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، (1413هـ - 1992م)، الملل والنحل، المحقق: أحمد فهمي محمد بدران، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

4ـ النشار، مصطفي، (2000 م) تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة.

5 ـ رديبوش، جورج، (2014)، سقراط، ترجمة أحمد الأنصاري، دار آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1.

6 ـ مرحبا، محمد عبد الرحمن محمد، (1988 م)، مع الفلسفة اليونانية، منشورات عويدات، بيروت، ط3.

7 ـ مرحبا، محمد عبد الرحمن،(1993 م)، تاريخ الفلسفة اليونانية ـ من بدايتها حتي المرحلة الهلنستية، مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 1.

8 ـ مطر، أميرة حلمي، (1998 م)، الفلسفة اليونانية ـ تاريخها ومشكلاتها، دار قباء للطباعة والنشر،.

9 ـ كرم، يوسف، (2012 م)، تاريخ الفلسفة اليونانية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر.

10 ـ كرم، يوسف، (1936 م)، تاريخ الفلسفة اليونانية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

ـ الموسوعات والمجالات الإلكترونية:

1 ـ ويكيبيديا، الموسوعة الحرة ، منصور الرحباني، https://ar.wikipedia.org/wiki تاريخ آخر زيارة: 2018/12/25.

2. السينما كوم، نبذة عن منصور الرحباني، تأليف فيلموجرافيا،

https://www.elcinema.com/person/1100518 / تاريخ آخر زيارة: 2018/12/25.

3. نادي الفكر العربي، عن منصور الرحباني، تقديم ناظم السيد، 2009/01/15 http://www.nadyalfikr.com/showthread.php?tid=1478 / تاريخ آخر زيارة: 2018/12/5

4ـ البيان، مجلة إلكترونية، (1998)، (في حدث يعود الى 400 قبل الميلاد: سقراط يحاكم قضاته بموته)، حوار مع مروان الرحباني، مقدم الحوار حسين درويش، تاريخ آخر زيارة 13/ 12 / 2018. https://www.albayan.ae/culture/1998-04-21-1.1009500